تمثيل البياض في المخيلة السوداء

من دراسات ثقافية(1992)

بيل هوكس

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة المحرر

عند قراءة مقال بيل هوكس ، "تمثيل البياض في المخيلة السوداء" ، قد تتساءلون عن سبب عدم إدراج هذا المقال في الجزء السادس . في الواقع ، كان من الممكن وضعه هناك بسهولة . في هذا المقال ، تستلهم هوكس ذكرياتها المبكرة كطفلة في جنوب الولايات المتحدة المنفصل عنصريًا ، وصولًا إلى رحلاتها الدولية كمفكرة عامة مرموقة ، لمناقشة كيفية إعاقة حركتها وغرس الخوف المستمر فيها . تناقش هوكس ممارسة جمع المعرفة حول البيض والمجتمع الذي يهيمن عليه البيض كنوع من استراتيجية البقاء ، وهي استراتيجية تعود إلى زمن العبودية ، لكنها ما تزال تلاحظها في مناقشاتها الصفية مع الطلاب . وقد تعرضت بيل هوكس للنقد والاحتفاء على حد سواء لتعبيرها عن منظور "أسود" صريح حول هذه القضايا .

في هذه المقالة ، على سبيل المثال ، **تصف هوكس البيض بـ"الإرهابيين"** ، وتناقش بصراحة خوفها وانعدام ثقتها وقلقها من التنقل في المجتمع الأبيض . زعم البعض أن منظور هوكس يقلب العنصرية البيضاء رأسًا على عقب ليصبح انعكاسًا لها : العنصرية السوداء . مع ذلك ، يشير آخرون إلى أنه في معظم الدراسات ، **فإن العنصرية المحيطة بالمجتمعات التي يهيمن عليها البيض غير معلنة** . في حين أن الهيمنة البيضاء قد تبدو طبيعية وعادية ، إلا أنها تتخلل إنتاج المعرفة . وهكذا ، فإن مساهمة هوكس تكمن في كشف عدم طبيعية العنصرية . يمكن عد هوكس عالمة أنثروبولوجيا أصيلة ؛ بمعنى آخر، إنها تدرس المجتمع الذي تنتمي إليه .

عادةً ما تدرس الأنثروبولوجيا والتخصصات الأخرى - بما في ذلك جغرافية الثقافة - التي تستخدم تقنيات إثنوغرافية مثل الملاحظة بالمشاركة ، الفئات الأقل ثراءً ؛ أي أن الباحثين ذوي الامتيازات النسبية يميلون إلى دراسة الفئات الفقيرة والأقليات . ابتداءً من ثمانينيات القرن العشرين ، بدأت موجة من علماء ما يسمى بـ"العالم الثالث" في عكس هذه الممارسة ، حيث درسوا الأغلبية السكانية والأثرياء ، واستخدموا تقنيات إثنوغرافية لمراقبة الثقافات السائدة . و وفقًا لعلماء الأنثروبولوجيا الأصليين ، فإن وجهة نظر المراقب حاسمة لتحديد نوع المعرفة المُنتجة . في حالة هوكس ، فإن موقفها كامرأة سوداء من خلفية الطبقة العاملة نشأت في الولايات المتحدة التي يهيمن عليها البيض يمنحها منظورًا لا يستطيع العلماء السائدون إدراكه . تشمل الأعمال الرئيسية الأخرى في هذا السياق مقال غاياتري سبيفاك ، "هل يمكن للتابع أن يتكلم ؟" في كاري نيلسون ولورانس جروسبيرج (المحرران) . الماركسية وتفسير الثقافة (1988)، ص 271-316؛ ترينه ت. مينه-ها ، المرأة ، الأصل ، الآخر : كتابة ما بعد الاستعمار والنسوية (1989) ؛ وتشيلا ساندوفال، منهجية المضطهدين (2000) .

لطالما كتب جغرافيو الثقافة عن العرق كجزء من مجال فرعي يُعرف بالجغرافيا العرقية . ومع ذلك ، لا يعتمد معظم هذا العمل على نهج نقدي لفهم العنصرية ، ولا ينظر إلى العرق كبناء اجتماعي . واليوم ، تزدهر جغرافيات الثقافة النقدية النظرية والتطبيقية للعرق . يشترك هذا العمل في الكثير مع دراسات ما بعد الاستعمار، لا سيما عندما لا يكون الآخر المعني... في مكان آخر ، بل داخل : داخل الحدود الوطنية ، داخل

المجتمعات ، داخل الذات . من الأمثلة على ذلك أودري كوباياشي وليندا بيك ، "العنصرية في غير مكانها : أفكار حول البياض وجغرافيا مناهضة للعنصرية في الألفية الجديدة" ، في حوليات جمعية الجغرافيين الأمريكيين ، المجلد 90 ، العدد 2 (2000): 392-403؛ ديفيد ديلاني ، "الفضاء الذي يصنعه العرق" ، الجغرافي المحترف ، المجلد 54 ، العدد 1 (2002): 6- 14؛ وأليستير بونيت ، "الجغرافيا ، "العرق" والبياض : التقاليد غير المرئية والتحديات الحالية" ، في المنطقة Area 29، العدد 3 (1997): 193-199.

يُجادل هؤلاء وغيرهم من جغرافيي الثقافة الذين يتبنون نهجًا نقديًا لفهم العرق ، بأن الفضاء وسيلة مهمة لبناء العرق اجتماعيًا ، وأن الاستراتيجيات المكانية للمقاومة يمكن أن تُوفر سبيلًا نحو مجتمع مناهض للعنصرية . بيل هوكس (التي لا تكتب الأحرف الأولى من اسمها بأحرف كبيرة) اسم مستعار . وُلدت باسم غلوريا جين واتسون لعائلة من الطبقة العاملة في كنتاكي ، وحصلت على درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز . درّست هوكس في جامعة ييل ، وكلية أوبرلين ، وجامعة مدينة نيويورك ، ومؤخرًا في كلية بيريا في كنتاكي . هوكس ، مؤلفة ومخرجة أفلام ومتحدثة عامة صريحة أحيانًا ، هي مثقفة عامة بالمعنى الذي وصفه إدوارد سعيد .

تُعد هوكس شخصية رئيسية في الدراسات الثقافية الأمريكية ، وقد درست منذ فترة طويلة التفاعل المعقد بين العرق والطبقة والجنس والجندر في كتب مثل "ألست امرأة ؟" "النساء السود والنسوية" (1981) ، والذي شكّل أول أعمالها النسوية العديدة التي تناولت الاختلافات العرقية وغيرها بين النساء ؛ "نظرات سوداء : العرق والتمثيل" (1992) ، حيث تتناول هوكس العلاقة الإشكالية بين الثقافة السوداء وتسليعها من قِبل صناعة الثقافة البيضاء ؛ و"نحن رائعون حقًا : الرجال السود والذكورة" (2004) ، حيث تتناول هوكس ما يُسمى "أزمة الرجل الأسود" من منظور نسوي . أما "عظم أسود : ذكريات الطفولة" (1996) ، فهو سرد سيرة ذاتية لطفولتها .

على الرغم من عدم وجود أي هيئة رسمية للسود في الولايات المتحدة تجمعت كعلماء أنثروبولوجيا و / أو إثنوغرافيين ، وكان مشروعهم النقدي الرئيسي هو دراسة البياض ، إلا أن السود ، منذ العبودية فصاعدًا ، تبادلوا فيما بينهم في محادثات معرفة "خاصة" بالبياض ، مستقاة من التدقيق الدقيق في البيض . وُصفت هذه المعرفة بأنها خاصة لأنها لم تكن وسيلة معرفة مُسجلة بالكامل في مواد مكتوبة ، وكان الغرض منها مساعدة السود على التأقلم والبقاء في مجتمع يسوده تفوق البيض .

لسنوات ، عمل خدام المنازل السود في منازل البيض كمخبرين ، نقلوا المعرفة إلى المجتمعات المنفصلة - تفاصيل وحقائق وملاحظات وقراءات نفسية تحليلية عن "الآخر" الأبيض . بالمثل ، شارك السود ، وخاصة أولئك الذين عاشوا خلال الفترة التاريخية من الفصل العنصري والفصل القانوني ، شغفهم بالاختلاف والاختلاف الذي عبّر عنه البيض بشكل جماعي علانية (وأحيانًا بشكل مبتذل) أثناء سفرهم حول العالم سعيًا وراء الآخر والاختلاف ، وقد حافظوا على فضولهم الدؤوب والمستمر تجاه "الأشباح" ، و"البرابرة" ، هذه الأشباح الغريبة التي أُجبروا على خدمتها...

أنا... أبحث عن بقايا التاريخ ، أمسح الغبار عن محادثات الماضي ، لأتذكر بعض ما كان مشتركًا في الأيام الخوالي ، عندما كان السود على اتصال وثيق ضئيل مع البيض ، عندما كنا أكثر انفتاحًا بشأن الطريقة التي ربطنا بها البياض بالغامض ، والغريب ، والرهيب . بالطبع ، كل شيء قد تغير . يعيش الكثير من السود الآن في "أدغال الأشباح" ولا يدركون أنهم منفصلون عن البياض ، ولا يدركون ما نسميه "الاختلاف" . ورغم أن أنظمة الهيمنة ، والإمبريالية ، والاستعمار ، والعنصرية ، تُجبر السود على تقبّل

تصورات سلبية عن السواد ، وعلى كراهية أنفسهم ، ويستسلم الكثير منا ، فإن السود الذين يقلدون البيض (متبنّين قيمهم ، وكلامهم ، وعاداتهم ، وما إلى ذلك) ما يزالون ينظرون إلى البياض بريبة وخوف ، بل وكراهية .

هذا التوق المتناقض لامتلاك حقيقة الآخر، رغم أن هذه الحقيقة تجرح وتنفي ، يُعبّر عن الرغبة في فهم اللغز ، والمعرفة الدقيقة من خلال التقليد ، كما لو أن هذه المعرفة ، التي تُلبس كتميمة ، أو قناع ، ستدفع الشر والرعب . عند البحث في الأعمال النقدية لنقاد ما بعد الاستعمار، وجدتُ الكثير من الكتابات التي تُشير إلى الانبهار المستمر بالطريقة التي تُعامل بها العقول البيضاء ، وخاصةً الرحالة الاستعماري الإمبريالي ، يدركون السواد ، ولا يُبدون اهتمامًا يُذكر بتمثيلات البياض في المخيلة السوداء . يُلمّح النقاد الثقافيون والاجتماعيون السود إلى مثل هذه التمثيلات في كتاباتهم ، إلا أن قلة منهم تجرأ على التعبير صراحةً عن تلك التصورات عن البياض التي يعتقدون أنها ستُزعج القراء أو تُثير عدائهم .

تستكشف مجموعة مقالات جيمس بالدوين "ملاحظات ابن أصلي" (1955) هذه القضايا بوضوح وصراحة لم تعد رائجة في عالمٍ تُسهم فيه استحضارات التعددية والتنوع في طمس الاختلافات التي تُفرض وتُحافظ عليها هيمنة العنصرية البيضاء بشكل تعسفي . في حديثه عن كونه أول شخص أسود يزور قرية سويسرية يسكنها البيض فقط ، وكان لديهم طقس سنوي يتمثل في رسم أفراد سود يُستعبدون ويُشترون ، ليتمكن القرويون من الاحتفال باهتمامهم بتحويل أرواح "السكان الأصليين" ، ردّ بالدوين : "تخيلتُ رجالاً بيضًا يصلون لأول مرة إلى قرية أفريقية ، غرباء هناك ، وأنا غريب هنا ، وحاولتُ أن أتخيل الناس المذهولين وهم يلمسون شعرهم ويتعجبون من لون بشرتهم .

لكن هناك فرق كبير بين أن تكون أول رجل أبيض يراه الأفارقة ، وأن تكون أول رجل أسود يراه البيض" . يعد الرجل الأبيض الاندهاش جزية ، لأنه جاء ليغزو السكان الأصليين ويهدّهم ، الذين لا مجال للشك في دونيتهم مقارنةً به ، بينما أجد نفسي ، دون تفكير في الغزو ، بين شعبٍ تسيطر عليّ ثقافته ، بل خلقتني بمعنى ما ، شعبًا كلّفني من الألم والغضب أكثر مما سيدركون ، ومع ذلك لا يعرفون حتى بوجودي . ربما كان الاندهاش الذي كنت سأستقبلهم به ، لو عثروا على قريتي الأفريقية قبل بضع مئات من السنين ، ليُسعد قلوبهم . لكن الاندهاش الذي يستقبلونني به اليوم لا يمكن إلا أن يُسمّم قلبي .

("غريب في القرية") ، في معرض تناوله للطريقة التي يوجد بها البياض دون معرفة السواد حتى وهو يُؤكد السيطرة جماعيًا ، يربط بالدوين قضايا الاعتراف بممارسة الهيمنة العنصرية الإمبريالية . لقد حفزتني مناقشات الفصول الدراسية حول كيفية كون غياب الاعتراف استراتيجيةً تُسهّل جعل مجموعةٍ ما "الآخر" . في هذه الفصول الدراسية ، دارت نقاشاتٌ حامية بين الطلاب ، عندما استجاب الطلاب البيض بعدم تصديق وصدمة وغضب ، وهم يستمعون إلى طلاب سود يتحدثون عن البياض ، عندما أُجبروا على سماع ملاحظات وصور نمطية ، وما إلى ذلك ، تُقدّم على أنها "بيانات" مُستقاة من تدقيقٍ ودراسةٍ مُعمّقة .

عادةً ما يستجيب الطلاب البيض بدهشةٍ ساذجةٍ لأن السود يُقيّمون البيض بشكلٍ نقديٍّ من منظورٍ يكون فيه "البياض" هو الدالّ المُميّز . إن دهشتهم من أن السود يُراقبون البيض بنظرةٍ "إثنوغرافية" ناقدة هي في حد ذاتها تعبيرٌ عن العنصرية . غالبًا ما ينفجر غضبهم لاعتقادهم أن جميع أشكال المظهر التي تُبرز الاختلاف تُقوّض القناعة الليبرالية بأن تأكيد الذاتية العالمية (نحن جميعًا بشر) هو ما سيُزيل العنصرية . لديهم استثمار عاطفي عميق في أسطورة "التشابه" ، حتى مع أن أفعالهم تعكس أولوية البياض كعلامة تُحدد هويتهم وكيف يفكرون . يُصدم الكثير منهم من أن السود يُفكّرون بشكل نقدي في البياض لأن التفكير العنصري يُديم وهم أن الآخر المُستعبد ، الذي هو دون البشر ، يفتقر إلى القدرة على فهم وإدراك ورؤية عمل الأقوياء . على

الرغم من أن غالبية هؤلاء الطلاب يعدون أنفسهم سياسيًا ليبراليين ، ومناهضين للعنصرية ، إلا أنهم أيضًا ، دون قصد ، يُستثمرون في الشعور بأن البياض لغز .

في مجتمع التفوق الأبيض ، يمكن للبيض أن يتخيلوا "بأمان" أنهم غير مرئيين للسود ، لأن السلطة التي ادّعواها تاريخيًا ، وحتى الآن جماعيًا ، على السود منحتهم الحق في التحكم في نظراتهم . ورغم أن الأمر قد يبدو خياليًا ، إلا أن البيض العنصريين يجدون من السهل تخيّل أن السود لا يستطيعون رؤيتهم إذا كانوا ، في حدود رغبتهم ، لا يريدون أن يراهم الآخر المظلم . **ومن علامات القمع إجبار السود على ارتداء عباءة الإخفاء ، ومحو كل آثار ذاتيتهم خلال فترة العبودية وسنوات الفصل العنصري الطويلة ، حتى يصبحوا أقل تهديدًا – خدمًا** . وقد تمحورت استراتيجية فعّالة للإرهاب العنصري الأبيض وتجريد البشر من إنسانيتهم خلال فترة العبودية حول سيطرة البيض على... نظرة سوداء .

كان العبيد السود ، والخدم المُعتقون لاحقًا ، يُعاقبون بوحشية لمجرد النظر، لمجرد التظاهر بمراقبة البيض الذين يخدمونهم كما لو كان المرء وحده قادرًا على الملاحظة أو الرؤية . كان أن تكون موضوعًا بالكامل يعني افتقارك للقدرة على رؤية الواقع أو إدراكه . وقد تعززت علاقات النظر هذه مع غرس البيض لعادة إنكار ذاتية السود (التي تُفضي إلى نزع إنسانيتهم وقمعهم) ، وحصرهم في عالم اللامرئي... باختزالهم إلى مجرد آلة العمل البدني ، تعلم السود أن يظهروا أمام البيض كما لو كانوا زومبي ، مُنمّين عادة توجيه نظرهم إلى الأسفل حتى لا يبدوا متعالين . **كان النظر المباشر تأكيدًا على الذاتية والمساواة** . يكمن الأمان في التظاهر بالاختفاء .

على الرغم من أن الفصل العنصري القانوني لم يعد سائدًا في الولايات المتحدة ، إلا أن عادات التنشئة على دعم التفوق الأبيض المؤسسي والحفاظ عليه ما تزال قائمة . وبما أن معظم البيض ليسوا مضطرين لرؤية السود (الذين يظهرون باستمرار على لوحات الإعلانات والتلفزيون والأفلام والمجلات ، إلخ) ، ولا يحتاجون إلى توخي الحذر ومراقبة السود حرصًا على سلامتهم ، فإنهم يستطيعون العيش كما لو أن السود غير مرئيين ، بل ويتخيلون أنهم أيضًا غير مرئيين لهم . قد يتخيل بعض البيض غياب تمثيل البياض في مخيلة السود ، خاصةً تلك التي تستند إلى ملاحظة ملموسة أو تخمينات خيالية ؛ إذ يعتقدون أن السود لا يرونهم إلا كما يريدون أن يظهروا . وقد ترعرعوا على الاعتقاد بأن البياض يمثل الخير وكل ما هو حميد وغير مُهدد ، ويفترض العديد منهم أن هذه هي الطريقة التي يُدرك بها السود البياض . إنهم لا يتصورون أن الطريقة التي يُظهر بها البياض وجوده في حياة السود ، غالبًا كقوة مُرعبة ، وقوة تُجرح وتُؤذي وتُعذب ، هي حقيقة تُزعزع خيال البياض كممثل للخير .

يظل السود ، مجتمعين ، صامتين نوعًا ما بشأن تمثيل البياض في المخيلة السوداء . وكما في أيام الفصل العنصري القديمة حيث تعلم السود "ارتداء القناع" ، يتظاهر الكثير منا بالراحة في مواجهة البياض ، ثم يُديرون ظهورهم ويُعبرون عن مستويات شديدة من الانزعاج . ويُثار الحديث بشكل خاص عن تمثيل البياض على أنه مُرعب . دون استحضار ثنائية "نحن وهم" التبسيطية والجوهريّة التي تُوحي إذا كان السود يُقلبون التفسيرات العنصرية النمطية ، بحيث يُصبح الأسود مرادفًا للخير والأبيض للشر ، فأريد التركيز على ذلك التمثيل للبياض الذي لا يتشكل كرد فعل على الصور النمطية ، بل ينشأ كرد فعل على الألم والمعاناة المؤلمة التي ما تزال نتيجة للهيمنة العنصرية البيضاء ، وهي حالة نفسية تُشكل وتُشكل الطريقة التي "يرى" بها السود البياض .

الصور النمطية التي يحملها السود عن البيض ليست الصور الوحيدة للبياض في مخيلة السود . إنها تظهر في المقام الأول كردود فعل على الصور النمطية البيضاء عن السواد... الصور النمطية ، مهما كانت غير دقيقة ، هي أحد أشكال التمثيل . ومثل الخيال ، تُخلق لتكون بمثابة بدائل ، تُمثل الواقع . إنها ليست

موجودة لسرد الأمور كما هي ، بل لتشجيع التظاهر وتشجيعه . إنها خيال ، إسقاط على الآخر يجعلها أقل تهديدًا . تكثر الصور النمطية عندما تكون هناك مسافة . إنها اختراع ، تظاهر بأن المرء يعرف متى لا يمكن اتخاذ الخطوات التي من شأنها أن تجعل المعرفة الحقيقية ممكنة - أو لا يُسمح بها . بالنظر إلى ما وراء الصور النمطية للنظر في مختلف تمثيلات البياض في المخيلة السوداء ، أستعين بالذاكرة ، بذكرياتي الأولى عن كيفية إثارة هذه القضايا في حياة السود .

بالعودة إلى ذكريات النشأة في الظروف الاجتماعية التي خلقها الفصل العنصري ، إلى جميع المساحات السوداء على أطراف المدينة ، أعود إلى مكان ربط فيه السود البياض بالفظاعة ، والرعب ، والإرهاب . كان البيض يُعدون إرهابيين ، وخاصة أولئك الذين تجرأوا على دخول تلك المساحة المنعزلة من السود . عندما كنت طفلاً ، لم أكن أعرف أي بيض . كانوا غرباء ، نادرًا ما نراهم في أحيائنا . كان الرجال البيض "الرسميون" الذين عبروا السكك الحديدية يبيعون المنتجات ، والكتب المقدسة ، والتأمين . **لقد أرهبونا بالاستغلال الاقتصادي .**

ما الذي رأيته في نظرات هؤلاء الرجال البيض الذين عبروا عتباتنا ، فأخافني ، وجعل الأطفال السود عاجزين عن الكلام ؟ هل أدركوا كم بدا بياضهم غريبًا في غرف معيشتنا ، وكم كان مُهددًا ؟ هل سافروا عبر السكك الحديدية بالروح "المُغامرة" نفسها التي حملها رجال بيض آخرون إلى أفريقيا وآسيا ، إلى تلك الأماكن الغامضة التي سيُطلقون عليها يومًا ما اسم العالم الثالث ؟ هل جاؤوا إلى منازلنا للقاء الآخر وجهًا لوجه ، ولعب دور المُستعمِر، مُسيطرين علينا في... أرضهم ؟ أرعبني وجودهم . مهما كانت مهمتهم ، فقد بدوا أشبه بكثير بالرجال البيض غير الرسميين الذين جاؤوا لممارسة طقوس الإرهاب والتعذيب . عندما كنت طفلاً، لم أكن أعرف كيف أميز بينهم ، كيف أطلب من "البيض الحقيقيين الوقوف" . الرعب الذي شعرت به هو رعبٌ مشتركٌ بين السود . يتعلم البيض عنه من مصادر غير مباشرة[. ..] ...

إن تسمية هذا البياض في المخيلة السوداء غالبًا ما تكون تمثيلًا للرعب : يجب على المرء أن يواجه مخطوطة من التاريخ المكتوب الذي يمحو وينكر، ويعيد اختراع الماضي لجعل الرؤية الحالية للتناغم العرقي والتعددية أكثر معقولية . لتحمل عبء الذاكرة ، يجب على المرء أن يسافر طوعًا إلى أماكن مهجورة منذ زمن طويل ، باحثًا في حطام التاريخ عن آثارٍ لما لا يُنسى ، والذي طُمست كل معرفةٍ به... من خلال تنظير التجربة السوداء ، نسعى إلى الكشف عنها ، واستعادتها ، وكذلك إلى تفكيكها ، بحيث تُصبح مسارات جديدة ورحلات مختلفة ممكنة... عندها لا يبقى سوى خيال الهروب ، أو الوعد بالعثور على ما فُقد ، وإعادة اكتشافه ، وإعادته . بالنسبة للسود ، فإن إعادة بناء آثار الذاكرة تجعل العودة ممكنة ، رحلة إلى مكان لا يمكننا أبدًا أن نسميه موطنًا حتى ونحن نعيد سكنه لفهم المواقع الحالية . لا يمكن أن تُحيط مفاهيم السفر التقليدية بمثل هذه الرحلات تمامًا .

أُقدّر القراءة... عن النظرية والسفر . جهودٌ لتوسيع نطاق السفر / الحدود النظرية ليكون أكثر شمولاً ، حتى مع اعتقادي بأن الإجابة عن الأسئلة... هي اقتراح تفكيك المعنى التقليدي للسفر، و وضع نظريةٍ للرحلة إلى جانبه أو مكانه تكشف عن مدى كون التمسك بمفهوم "السفر" كما نعرفه وسيلةً للتمسك بالإمبريالية . بالنسبة لبعض الأفراد ، فإن التمسك بالمعنى التقليدي للسفر يسمح لهم بالبقاء مفتونين بالإمبريالية ، والكتابة عنها بإغراء ، واستحضار... "الحنين الإمبريالي" . قد ترغب نظريات السفر المنتجة خارج الحدود التقليدية في أن تصبح الرحلة هي المعيار الذي يرتبط فيه السفر، كنقطة انطلاق للخطاب ، بعناوين مختلفة - طقوس العبور، والهجرة ، والهجرة القسرية ، وإعادة التوطين ، والاستعباد ، والتشرد . السفر ليس كلمةً يُمكن استحضارها بسهولة للحديث عن الممر الأوسط ، أو درب الدموع ، أو هبوط المهاجرين الصينيين في جزيرة إليس ، أو الترحيل القسري للأمريكيين اليابانيين ، أو محنة المشردين .

إن تنظير الرحلات المتنوعة أمرٌ بالغ الأهمية لفهمنا لأي سياسة موقع . شعرتُ أن استحضارًا "مرحًا" للسفر سيجعل من الصعب دائمًا الاعتراف بتجربة سفر لا تتعلق باللعب ، بل هي مواجهة للإرهاب . ومن الأهمية بمكان أن ندرك أن هيمنة تجربة سفر واحدة قد تجعل من المستحيل التعبير عن تجربة أخرى وسماع صوتها . من وجهات نظر معينة ، السفر هو مواجهة قوة إرهاب التفوق الأبيض . لأروي قصص "سفري" ، عليّ أن أُسمّي الانتقال من مجتمع جنوبي منعزل عرقيًا ، من أصل ريفي أسود معمداني ، إلى جامعات بيضاء مرموقة ، إلخ . يجب أن أكون قادرة على الحديث عن تجربة مغادرة إيطاليا بعد أن ألقيتُ محاضرة عن العنصرية والنسوية ، استضافها البرلمان ، لأقف لساعات بينما يستجوبني مسؤولون بيض لا يُطلب منهم الرد عندما أسألهم عن سبب اختلاف الأسئلة التي يطرحونها عليّ عن تلك التي يُطرحها البيض في الطابور أمامي .

أفكر فقط أنني يجب أن أتحمل هذا الاستجواب العلني ، ونظرات مَن حولي ، لأن بشرتي سوداء ، فأُصاب بالدهشة عندما يُسألني إن كنتُ أتحدث العربية ، عندما يُقال لي إن نساءً مثلي يتلقين هدايا من رجال دون أن يعرفن ماهيتها . أتذكر مرةً أخرى عندما فتشني مسؤولون فرنسيون ، كانوا يوقفون السود للتأكد من أنهم ليسوا مهاجرين غير شرعيين و/ أو إرهابيين ، **أعتقد أن أحد أوهام البياض هو أن الآخر المُهدد هو دائمًا إرهابي** . هذا الإسقاط يُمكّن الكثير من البيض من تصور أنه لا يوجد تمثيل للبياض على أنه إرهاب ، أو مُرعب . ومع ذلك ، فإن هذا التمثيل للبياض في المخيلة السوداء ، الذي تعلّمته لأول مرة في الأوساط الريفية السوداء الفقيرة ، هو ما يدعمه سفري إلى مواقع مختلفة . لكي أسافر، يجب أن أتحرك دائمًا عبر الخوف ، وأواجه الرعب .

من المفيد أن أتمكن من ربط هذه التجربة الفردية بالرحلة الجماعية للسود ، إلى الممر الأوسط ، بالهجرة الجماعية للسود الجنوبيين إلى المدن الشمالية في أوائل القرن العشرين... من المفيد عند وضع نظريات حول تجربة السود أن ندرس الطريقة التي يرتبط بها مفهوم "الإرهاب" بتمثيلات البياض . في غياب حقيقة البياض ، تعلمتُ في طفولتي أنه لكي أكون "آمنًا" ، من المهم إدراك قوة البياض ، بل والخوف منه ، وتجنب مواجهته . لم يكن هناك ما يُرعب في مشاركة هذه المعرفة كاستراتيجية للبقاء ؛ لم يُصبح الرعب حقيقيًا إلا عندما سافرتُ من الجانب الأسود من المدينة إلى منطقة ذات أغلبية بيضاء بالقرب من منزل جدتي . كان عليّ المرور عبر هذه المنطقة للوصول إلى منزلها .

وصفتُ هذه الرحلات "عبر المدينة" في مقال "الوطن : موقع للمقاومة" [مقال نُشر في مجلة "الشوق : العرق ، والجنس ، والسياسات الثقافية"، 1990] ، وتذكرتُ : لقد كانت حركةً بعيدًا عن السود المنفصلين في مجتمعنا إلى حيٍّ أبيض فقير . أتذكر الخوف ، خوفي من السير إلى منزل جدتي ، لأننا سنضطر إلى المرور بذلك البياض المرعب - تلك الوجوه البيضاء على الشرفات التي تحدق بنا بكراهية . حتى عندما تكون تلك الشرفات فارغة أو خالية ، تبدو وكأنها تقول : خطر ، لستَ هنا ، لستَ آمنًا . يا له من شعور بالأمان ، بالوصول ، بالعودة إلى الوطن عندما وصلنا أخيرًا إلى أطراف فناء منزلها ، عندما رأينا وجه جدنا ، دادي غاس ، الأسود الملطخ بالسخام ، جالسًا على كرسيه على الشرفة ، يشتم رائحة سيجاره ، ويستريح في حجره . يا له من تناقض ، ذلك الشعور بالوصول ، بالعودة إلى الوطن - تلك الحلاوة والمرارة في تلك الرحلة ، ذلك التذكير الدائم بالقوة والسيطرة البيضاء .

على الرغم من أن هذه الرحلة قد مضت عليها فترة طويلة ، إلا أن ارتباط البياض بالرعب والإرهاب ما يزال قائمًا . على الرغم من أنني أعيش وأتحرك في أماكن محاطة بالبياض ، مُحاطًا به ، إلا أنه لا يوجد ما يُريحني من اختفاء الإرهاب . **جميع السود في الولايات المتحدة ، بغض النظر عن وضعهم الطبقي أو توجهاتهم السياسية ، يعيشون مع احتمال تعرضهم للإرهاب من قِبَل البياض** . في المجتمع المعاصر، يعتقد

البيض والسود على حد سواء أن العنصرية لم تعد موجودة . هذا المحو ، مهما بدا أسطوريًا ، يُبدد صورة البياض كإرهاب في المخيلة السوداء . إنه يسمح بالاستيعاب والنسيان . إن الحماس الذي يُزيل به المجتمع المعاصر العنصرية ، مُستبدلًا هذا الاعتراف بـ... على الرغم من أن هذه الرحلة قد مضت عليها فترة طويلة ، إلا أن ارتباط البياض بالإرهاب والإرهاب ما يزال قائمًا .

ويسمح بالاندماج والنسيان ، إن حرص المجتمع المعاصر على التخلص من العنصرية ، واستبدال هذا الاعتراف باستحضارات التعددية والتنوع التي تُخفي الواقع أكثر، هو رد فعل على الإرهاب ، ولكنه أصبح أيضًا وسيلة لإدامة الإرهاب من خلال توفير غطاء ، ومخبأ . ما يزال السود يشعرون بالرعب ، ولا يزالون يربطونه بالبياض ، لكنهم نادرًا ما يتمكنون من التعبير عن الطرق المتنوعة التي نتعرض بها للإرهاب لأنه من السهل إسكاتهم باتهامات العنصرية العكسية أو من خلال الإيحاء بأن السود الذين يتحدثون عن الطرق التي نتعرض بها للإرهاب من قبل البيض لا يفعلون سوى إثارة الشعور بالضحية للمطالبة بمعاملة خاصة .

أثناء حضوري مؤتمرًا حديثًا للدراسات الثقافية ، تذكرتُ كيف يتزايد انفصال خطاب العرق عن أي اعتراف بسياسات العنصرية . ذهبتُ إلى هناك لأنني كنتُ واثقًا من أنني سأكون بصحبة مثقفين متشابهين في التفكير، تقدميين ، و "واعين" . لكن بدلًا من ذلك ، شعرتُ بالانزعاج عندما انعكست الترتيبات المعتادة للتسلسل الهرمي للعنصريين البيض من حيث من يتحدث ، وكيفية ترتيب الأجساد على المسرح ، ومن بين الجمهور ، والأصوات التي تُعد جديرة بالتحدث والسماع . مع تقدم المؤتمر، بدأتُ أشعر بالخوف . إذا استطاع التقدميون ، ومعظمهم من البيض ، إعادة إنتاج نسخة عمياء من الوضع الراهن دون "رؤيته" ، فإن فكرة كيفية لعب السياسة العنصرية "خارج" هذا المجال كانت مرعبة .

ظهر ذلك الشعور بالرعب الذي عرفته عن كثب في طفولتي . دون حتى التفكير فيما إذا كان الجمهور قادرًا على تغيير وجهة النظر السائدة والاستماع إلى وجهة نظر أخرى ، تحدثتُ بصراحة عن ذلك الشعور بالرعب . لاحقًا ، سمعتُ قصصًا عن نساء بيضاوات يسخرن من مدى سخافة قولي (أعتقد أنني أمثل في نظرهن المرأة السوداء القاسية "السيئة") إنني شعرتُ بالرعب . إن عجزهن عن إدراك أن خوفي... هو رد فعل على إرث الهيمنة البيضاء والتعبيرات المعاصرة عن التفوق الأبيض هو مؤشر على مدى ضآلة فهم هذه الثقافة للتأثير النفسي العميق للهيمنة العنصرية البيضاء .

في هذا المؤتمر نفسه ، تعرفتُ على امرأة سوداء تقدمية ورجل أبيض ، مثلي ، كانا منزعجين من مدى اختيار الناس تجاهل الطريقة التي كان التفوق الأبيض يُشكل بها هيكل المؤتمر . في حديثي مع المرأة السوداء ، سألتها : "ماذا تفعلين عندما تتعبين من مواجهة العنصرية البيضاء ، وتتعبين من الأفعال العرضية اليومية للإرهاب العنصري ؟ أعني ، كيف تتعاملين مع العودة إلى المنزل مع شخص أبيض ؟" ضحكت وقالت : "أوه ، تقصدين عندما أعاني من متلازمة إرهاق البيض . هو يُصاب بها أكثر مني . " بعد أن انتهينا من الضحك ، تحدثنا عن الطريقة التي يبدأ بها البيض الذين يغيرون مواقعهم ، كما فعلت رفيقتها ، برؤية العالم بشكل مختلف . بفهمها لكيفية عمل العنصرية ، يمكنها أن ترى الطريقة التي يعمل بها البياض على إرهاب الناس دون أن ترى نفسها سيئة ، أو جميع البيض سيئين ، والسود جيدين .

إن رفض ثنائيات "نحن وهم" لا يعني أنه لا ينبغي لنا أبدًا أن نتحدث عن الطرق التي قد يشوه بها النظر إلى العالم من منظور "البياض" الإدراك ، ويعرقل فهم كيفية عمل العنصرية في العالم الأوسع وكذلك في عالم تفاعلاتنا الحميمة... قد يتمكن البيض التقدميون المناهضون للعنصرية من فهم الطريقة التي تعيد بها ممارساتهم الثقافية ترسيخ التفوق الأبيض دون تعزيز الشعور بالذنب أو الإنكار المُشل . بدون القدرة على إثارة الرعب ، **لم يعد البياض يدل على الحق فى الهيمنة** . إنه حقًا يصبح خيرًا الغياب... بفحصٍ نقديٍّ

لارتباط البياض بالإرهاب في مخيلة السود ، وتفكيكه ، نُحدد أثر العنصرية ونساعد على كسر قبضتها . نُحرر عقولنا وخيالاتنا من الاستعمار.